من الجميل في اللغة العربيّة

أنّها لغة خالدة

-

بمعنى أنّك الآن وبعد آلاف السنين

من التراث العربيّ المعروف بالنسبة لنا

تستطيع أن تتحدّث وتكتب باللغة العربيّة الفصحى

ويفهمك الناس بدون أدنى مشاكل

-

والدليل على ذلك

هو السطور القليلة التي كتبتها بالأعلى

ارجع واقرأها

وستكتشف أنّها لا تحتوى على أيّ كلمة عامّيّة

-

هو كلام عربيّ فصيح

لو خاطبت به امرء القيس في جاهليّته لفهمك

ولو خاطبك وقتها لفهمته بحصيلتك اللغويّة الحالية

ولو كانت صغيرة

إلّا أنّها كافية

-

لو قال لك عنترة مثلا

حكّم سيوفك في رقاب العزّل - وإذا نزلت بدار ذلّ فارحل

وإذا بليت بظالم كن ظالما - وإذا لقيت ذوي الجهالة فاجهل

-

هل ستستوحش لفظا من ألفاظه ؟!

بالطبع لا

ستفهم جميع كلامه

-

حتّى أنّ محاولات البعض لإيراد نصوص عربيّة معقّدة

هي محاولات للتسلية فقط

ولكن لم يكن هذا كلام العرب قديما

-

يقول لك بعضهم مثلا

قال الشاعر

تدفّق في البطحاء بعد تبهطل - وقعقع في البيداء غير مزركل

وسار بأركان العقيش مقرنصا - وهام بكلّ القارطات بشنكل

-

فلم يكن هذا من كلام العرب

بل إنّه كما قيل ( كان كلام العرب الدرج )

الدرج أي الدارج من الكلام

-

حتّى أنّهم لم يكونوا يعربون كلّ كلمة كما تظنّ

بل إنّ كلامهم كان سهلا خفيفا

وكما قيل أيضا

( كان العرب يرفرفون على الإعراب ولا يتفيهقون فيه )

بمعنى أنّهم لم يكونوا يحقّقوا كلّ فتحة وضمّة وكسرة

بل كانوا يتحدّثون بحديث أشبه بحديثنا اليوم

غير أنّه لم يكن عامّيّا

-

وهذا من أسرار قوّة العربيّة

فالمرونة والخفّة هي من مظاهر القوّة

وليس العكس كما قد تظنّ

-

وبهذه المرونة عاشت العربيّة قرونا وستعيش

ويمكن أن أورد لك أبيات شعر

من عصور بينها مئات السنين

فلا تستطيع أن تحدّد أيّها أقدم من الآخر

-

لو قلت لك مثلا

فليهدموا كلّ المآذن فوقنا - نحن المآذن فاسمع التهليلا

نحن الذين إذا ولدنا بكرة - كنّا على ظهر الخيول أصيلا

-

ثمّ قلت لك

لنا الدنيا ومن أمسى عليها - ونبطش حين نبطش قادرينا

بغاة ظالمين وما ظلمنا - ولكنّا سنبدأ ظالمينا

-

لو قلت لك أنّ هذه الأبيات قالها شاعران يتباريان

فكلّ منهم يبرز قوّته على الآخر ويتفاخر عليه

هل ستعتبر هذا الكلام غريبا ؟

-

أفاجؤك وأقول لك

أنّ بين هذين الشاعرين آلاف السنين

-

لو قلت لك

قال الشعراء

أمن تذكّر جيران بذي سلم - مزجت دمعا جرى من مقلة بدم

ريم على القاع بين البان والعلم - أحلّ سفك دمي في الأشهر الحرم

-

فهل تتوقّع أنّ هذين البيتين من قصيدتين مختلفتين

-

لو قلت لك

قال الشعراء

1 - يا ليل الصبّ متى غده - أقيام الساعة موعده

2 - مضناك جفاه مرقده - وبكاه ورحّم عوّده

3 - رقد السمّار وأرّقه - أسف للبين يردّده

4 - حيران القلب معذّبه - مقروج الجفن مسهّده

5 - فبكاه النجم ورقّ له - ممّا يرعاه ويرصده

6 - ويناجي النجم ويتعبه - ويقيم الليل ويقعده

7 - كلف بغزال ذي هيف - خوف الواشين يشرّده

8 - بيني في الحبّ وبينك ما - لا يقدر واش يفسده

9 - وكفى عجبا أنّي قنص - للسرب سباني أغيده

10 - مولاي وروحي في يده - قد ضيّعها - سلمت يده

-

فهل تتعجّب إذا عرفت

أنّ هذه الأبيات مختلطة من قصيدتين

لشاعرين مختلفين

بينهما مئات السنين

-

الأبيات الفرديّة للقيروانيّ

والأبيات الزوجيّة لأحمد شوقيّ

-

فكيف استطاعت العربيّة أن تخدم كليهما

كلّ في زمنه

كيف استطاعت أن تخرج مشاعرهما بهذه السلاسة

وبدون اعتبار للحقبة الزمنيّة التي عاش فيها كلّ منهما

إنّها أمّ تعطف على كلّ أبنائها بغضّ النظر عن أعمارهم

إنّها لغة خالدة

-

واللغة العربيّة جديرة أن تكون هكذا

لسبب وجيه

ألا وهو القرآن الكريم

-

فقارؤو القرآن في أيّ عصر

سيكون القرآن حجّة عليهم

فكيف يكون حجّة عليهم وهم لا يفهمونه ؟!

ولذا فإنّه من خصائص اللغة العربيّة

أن تظلّ مفهومة ومستخدمة ليوم الدين

-

وأكرّر أنّ كلّ ما سبق في هذا المقال

هو كلام عربيّ فصيح

فهل استشعرت فيه غرابة ؟

أو هل استشعرت فيه تقعّرا أو تكلّفا ؟

-

هل شعرت أنّ كلمة وضعت في غير محلّها كرها

أو أنّ الكلام العامّيّ كان يمكن أن يعبّر عنها

بأفضل من الكلام الفصيح

بالعكس

-

بل إنّ العرب كانوا يكرهون موحش الكلام

وليس كما تظنّ أنّهم كانوا يتبارون في التقعّر

بالعكس

كانوا يلفظون الكلام الموحش

-

ولذا كانت عربيّة قريش

هي العربيّة المفضّلة بالنسبة لهم

لأنّ قريش وبحكم وجود الكعبة في مكّة

كان يمرّ عليها كلّ كلام العرب

فكانت تنتقي أحلاه وتترك الموحش منه

-

اقرؤوا إن شئتم قوله تعالى

إنّا صببنا الماء صبّا

ثمّ شققنا الأرض شقّا

فانبتنا فيها حبّا

وعنبا وقضبا

وزيتونا ونخلا

وحدائق غلبا

وفاكهة وأبّا

متاعا لكم ولأنعامكم

-

هل استوحشتم لفظا من هذه الألفاظ ؟

هل تحتاج أن تكون عالما في اللغة العربيّة

لتفهم هذا الخطاب ؟!

بالطبع لا

-

بل إنّ الطفل الصغير لو قرأت عليه هذه الآيات

ثمّ سألته عمّا فهمه منها

سيجيب عليك بشكل بسيط

أنّها آيات تتحدّث عن الطعام

-

أخيرا

حتّى اللغة العامّيّة التي نتحدّثها اليوم

هي قريبة جدّا من اللغة الفصحي

-

فلو قلت لك مثلا

( اقرأ الكلام اللي كتبتهولك وهتلاقي معظمه فصيح )

هذه الجملة لو أردنا أن نقولها بالفصحي سنقول

( اقرأ الكلام الذي كتبته لك وستجد معظمه فصيحا )

لو قارنت بين الجملتين ستجد أنّ الفرق بسيط جدّا

لا يكاد يتجاوز بعض الحروف

-

وهذا دليل على أنّ اللغة الفصحى

ما زالت حيّة في نفوسنا

كلّ ما في الأمر أنّها غطّتها بعض الشوائب

لكنّنا ما زلنا قادرين على الحديث بكلام أشبه بالفصيح

وما زلنا قادرين على قراءة وفهم الكلام الفصيح

-

وهذا من إعجاز هذه اللغة الخالدة